مصادر الشريعة الإسلامية

الأنظمة والقوانين إما صادرة من الله سبحانه وتعالى خالق البشر ومربيهم، أو يكون من صنع البشر أنفسهم.

فالنوع الأول هو ما يدعى بالشرائع السماوية، والنوع الثاني هو ما يسمى بالشرائع الوضعية، وشريعتنا الإسلامية هي من النوع الأول سماوية صادرة عن الله سبحانه، ولا دخل فيها لأي إنسان مهما ارتفعت رتبته وعلا مقامه، فالمشرع الأوحد عندنا هو الله سبحانه وتعالى، ولا يعترف المسلون لأحد غيره بحق التشريع، حتى النبي صلى الله عليه وسلم فإنما نقبل قوله وعمله وتقريره لأنه مخبر عن الله تعالى وناقل لأوامره ونواهيه ليس إلا، وكذلك الفقهاء والعلماء والمجتهدون، فإنه لا دخل لهم في التشريع أبدا، وكل مالهم أن يفعلوه هو أن يعملوا عقولهم في فهم ما ورد عن الشارع من النصوص في حدود الضوابط التي وضعوها لهذا الفهم، دون الزيادة على هذه النصوص أو الإنقاص منهـا.

قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ الأنعام:57.

وعلى ذلك يكون القرآن هو المصدر الأصلي الأول لهذه الشريعة، ثم السنة والإجماع والقياس وما عداها مصادر تبعية.

القرآن الكريـــم

تعريفـــه:

1- لغـــة: اختُلِف في تعريف القرآن من حيث اللغة:

فقيل: هو مصدر من قرأ يقرأ، قراءة بمعنى تلا، فالقرآن بمعنى مقروء؛ أي متلو.

وقيل: مصدر قرأ، وقرأ تأتي بمعنى الجمع والضم، وسمي القرآن بذلك لأنه يجمع السور ويضمها، تقول: قرأت الشيء قرآناً، إذا جمعت بعضه إلى بعض .

ولا مانع من الجمع بين القولين، فالقرآن مقروء بمعنى متلو، وكذلك هو قارئ أي: جامع للأخبار النافعة والأحكام العادلة.

2- اصطلاحا: هو كلام الله العربي المعجز، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

خصائص القرآن الكريم:

للقرآن الكريم خصائص كثيرة أهمها:

1- أنه منقول إلينا بالتواتر: ومعنى نقل القرآن بالتواتر أنه رواه جمع عظيم يستحيل تواطؤهم على الكذب عن جمع مثله، وصولا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما نطق به بلا تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان.

والتواتر ثابت للقرآن الكريم كله كتابة وحفظًا في الصدور في جميع العصور من الوقت الذي نزل به جبريل الأمين على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يومنا هذا، وإلى قيام الساعة إن شاء الله تعالى.

2- أنه محفوظ من التحريف والضياع: فالقرآن محفوظ من التحريف والضياع، والزيادة والنقصان... وذلك لأن الله تعالى تولّى حفظه بنفسه قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾ الحجر 9 عكس بقية الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل التي حرَّفت لأن الله لم يتكفل بحفظها وتركه لأصحابها فلم يحفظوا الأمانة.

3- متعبد بتلاوتــه: قراءة القرآن عبادة ينال الإنسان الأجر عليها أكثر من قراءة أي كتاب آخر، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **:« من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول " ألم" حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف»**

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

ثم أن الصلاة كأعظم العبادات لا تصح إلا به قال صلى الله عليه وسلم**:« لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»** متفق عليه.

4- أنه آخر الكتب السماوية: أنه خاتمة الكتب السماوية التي تحمل هداية الله إلى الخلق شامل، وحاكم على ما جاء في الكتب التي سبقته قال اللهُ تعالى**:﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾** الأحزاب: 40 ، وتواترت الأخبارُ عنه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بأنَّه لا نبيَّ بَعْدَه ، وإذا كان مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم خاتمَ النَّبيِّين، فإنَّ القُرْآنَ الذي أُنزِل عليه خاتَمُ الكُتُبِ المُنَزَّلةِ.

حجيتـــــــــــــه:

يقصد بكلمة الحجية الدلائل والبراهين التي تثبت أن القرآن الكريم كلام الله تعالى ومن ثم إثبات وجوب

العمل بأحكامه واعتباره دليلا من أدلة التشريع، والحقيقة أنه لا خلاف بين المسلمين قديماً وحديثاً في أن القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، وأنه حجة الرسول صلى الله عليه وسلم ومعجزته الكبرى ودل على ذلك القرآن نفسه، والسنة النبوية الشريفة وإجماع المسلمين.

أ- الأدلة من القرآن: أدلة القرآن على أنه كلام الله هو **إعجازه** و معنى الإعجاز لغة هو القصور عن فعل الشيء،وهو ضد القدرة،ومعنى إعجاز القرآن إثباتُ القرآنِ عجزَ الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، و متى كان معجزا تأكد صدوره من الله ومن ثم فلا شك في حجيته، وللإعجاز أنواع منها البلاغي والغيبي والعلمي...

1- الإعجاز البلاغي والبياني: يُعدُّ هذا النوع من الإعجاز من أهم أنواع الإعجاز وأولها ظهوراً في القرآن الكريم، والمقصود بهذا النوع من الإعجاز هو مقدار ما جاء به القرآن الكريم من الكلام الفصيح والبليغ ولم يستطع أحدا من البشر أن يأتي بمثله، مهما بلغ من قوة الفصاحة والبلاغة، فقد كان القرآن الكريم بليغاً لحد درجة الإعجاز؛ فلا يستطيع أحدٌ أن يأتي بمثله أو آيةٍ من آياته، وقد تحدّ قريش وهم أهل اللغة و أرباب الفصاحة البلاغة أن يأتوا بمثله فعجزوا قال تعالى:﴿ **قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** ﴾ الإسراء 88، ظَهِيرًا أي عَوْنًا.

ثم تحداهم بعد أن عجزوا عن الإتيان بمثله بأن يأتوا بعشر سور من مثله قال تعالى:﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ سورة هود:13، أي: إن قلتم بأن محمداً افتراه من عند نفسه فأتوا بعشر سور مثله، واستعينوا بمن استطعتم من دون الله عز وجل إن كنتم صادقين، ثم قال سبحانه: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ سورة يونس:38 فلما عجز العرب فغيرهم أعجز.

2- الإعجاز الغيبي: والمقصود به الإخبار عما غاب عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقومه مما لم يشهدوه من حوادث وقعت ولم يكونوا على علم بتفاصيلها، وهو يشمل غيب الماضي وغيب الحاضر وغيب المستقبل.

- غيب الماضي: هو إنباء القرآن عن الأخبار التي وقعت في الماضي السابق لزمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بكل ما تضمنه من قصص الأولين، ووجه الإعجاز الغيبي في هذه الأمور أنها أحداث ماضية، لا علم للنبي وقومه بها ولا سبيل إلى معرفتها، إلا عن طريق الوحي الذي نزل عليه من الله، يقول الله:﴿ **تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ هود:49.

من الأمثلة تفصيلا قصة موسى عليه السلام مع فرعون قال تعالى:﴿نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون﴾ القصص 3 ، وقال:﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِين﴾ القصص 44، وقال:﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ يونس:92

- **غيب الحاضر:** وهو إخبار القرآن عن المغيبات التي حدثت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، مثل الكشف عن مؤامرات الكافرين و المنافقين ومكائدهم قبل تنفيذهم لها، أي ما تضمنه من الإخبار عن الضمائر، من غير أن يظهر منهم بقول أو فعل مثل: قوله تعالى:﴿ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ وَاللّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون﴾ آل عمران 122 ، وقوله أيضا: ﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ المجادلة 8.

- **غيب المستقبل:** وهو أخبار القرآن عن أمور ستقع في المستقبل وحدث بالفعل كما اخبر مثل: قوله تعالى في أهل بدر: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر﴾. القمر: 45، وقوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح 27.

ومن أمثلة الإعجاز الغيبي في القرآن أيضا إخباره عن انتصار الروم على الفرس، في قوله:﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ الروم:1.

3- الإعجاز العلمي: هو الإخبار عن ظواهر كونية لم تكن معروفة في زمن نزول القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم وأثبتها العلم في العصر الحديث، ممّا يعني صدق النبي عليه الصلاة والسلام فيما يبلّغ عن الله تعالى، والإعجاز العلمي يحتاجه كثير من الناس في وقتنا الحاضر من أجل الإقناع والاقتناع مصداقا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَــقُّ﴾ فصلت: 53، ومن الأمثلة على الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

1- **نقص الأوكسجين في طبقات الجو العليا:** اكتشف العلم الحديث أن الأوكسجين ينقص كلما صعِدنا في طبقات الجو وعند ذلك يشعُرُ الإنسان بضيق في الصدر وصعوبة في التنفس والله يقول:﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الأنعام: 125

2- **تقسيم الذرَّة:** كان العلماء حتى القرن التاسع عشر يعتقدون أن أصغرَ جزء في العناصر هو الذرة ثم اكتشفوا أن الذرة مكونة من أجزاء أصغر منها: البروتون و النيترون و الإلكترون، والله يقول: **﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾** يونس: 61

3- **الزوجية موجودة في كل شيء:** كان العلماء يعتقدون بأن الزوجية (الذكر والأنثى) لا توجد إلا في الإنسان والحيوان، فجاء العلم الحديث وأثبت أن الزوجية توجد في النبات، و الجماد، وفي كل ذرَّة من ذرات الكون، حتى الكهرباء ففيها الموجب والسالب، وحتى الذرة فيها البروتون والنيترون،

4- **مراحل نمو الجنين:** قال تعالى: **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾** الحج: 5.

فهذه الآية وصف دقيق لمراحل تكوُّن الجنين منذ كونه حتى بدايات الحركة والحياة قبل الخروج إلى العالم، وهذا ما اكتشفه العلم الحديث.

5- **لكل إنسان بصمات أصابع خاصة به:** أثبَت العلم الحديث أن بصمات أصابع البشر إنسان لا تتشابه ومن المستحيل أن توجد تشابه بين بصمات إنسان مع بصمات آخر، والله يقول:**﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾** القيامة: 4.

ب- الادلة من السنة النبوية على حجية القرآن:

ورد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تدل عن حجية القرآن منها قوله الله صلى الله عليه وسلم: **«إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلموا من مأدبة الله ما استطعتم، إن هذا القرآن هو حبل الله، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبِعه، لا يعوجُّ فيقوَّم، ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخلَق من كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول لكم: (ألم) حرف، ولكن ألف ولام وميم »رواه الحاكم وابن أبي شيبة في المصنف**

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **« الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران» رواه البخاري.**

وكان صلى الله عليه وسلم يحمل الناس على القرآن حملًا، ويفاضل بينهم بمنزلتهم من القرآن، ويوصي من عجز عن القراءة أن يستمع ويتفهم؛ حتى لا يُحرم بركة الصلة الروحية بكتاب الله تعالى، فقال:**« من استمع إلى آية من كتاب الله تعالى، كُتبت له حسنة مضاعفة، ومن تلاها كانت له نورًا يوم القيامة »رواه**

أحمد ، وقال صلى الله عليه وسلم: **«والقرآن حجة لك أو عليك»** رواه مسلم من حديث طويل وهذا نص منه صلى الله عليه وسلم في حجية القرآن.

فهذه الأحاديث وغيرها تدل دلالة واضحة على حجية القرآن الكريم القاطعة التي هي عماد حركة المسلم في الحياة والفقيه في تناوله للأحكام والقضايا والمجتهد في الاستدلال والاستنباط.

ج- الإجمـــاع: انعقد إجماع المسلمين على اختلاف مذاهبهم وآرائهم على أن القرآن الكريم حجة وهو مصدر الشريعة الأول، وما عداه من المصادر، إنما يستند إليه ويرجع في حجيته إليه.

أحكام القرآن الكريم:

جاء القرآن الكريم بأنواعٍ من الأحكام، وفيما يأتي بيانها باختصار شديد:

أ- الأحكام الاعتيادية: وهي الأحكام المتعلقة بما يجب على المكلّف أن يعتقده حول الله تعالى، وملائكته، وكتبه، ورسله، ويوم البعث والقدر....

ب- الأحكام الخُلقية؛ وهي الأحكام المتعلقـــة بما يجب على المكلّف أن يتحلّى به من مكارم الأخـــلاق والفضائل، وما يجب أن يتجنبه من الرذائل.

ج- الأحكام العملية: وهي الأحكام المتعلقة بكل ما يصدر عن المكلف من أقوالٍ؛ أو أفعالٍ، أو عقودٍ، أو تصرفات، وهذا النوع هو موضوع علم الفقه، وينقسم هذا النوع من الأحكام إلى أقسامٍ عدة وهي التي يشملها القانون العام والقانون الخاص اذا ما استثنينا العبادات ، والت يمكن حصرها فيما يلي:

1- **أحكام العبادات:** من صلاةٍ، وصيامٍ، وحجٍّ، ونحو ذلك.
2- **أحكام الأحوال الشخصية:** وهي التي تتعلق بالزواج، والأسرة، والطلاق، والعدّة، وما يتصل بذلك.
3- **أحكام المعاملات:** وهي التي تتعلق بالبيع، والشراء، والرهن، والإجارة، ونحوها، وما يترتب على كلٍّ منها من حقوقٍ ماليّةٍ.
4- **أحكام العقوبات:**وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلّف من جرائمٍ، وما يترتب عليها من عقوبات.
5- **أحكام السياسة الشرعية:**وهي الأحكام التي تتعلق بنظام الحكم،وسلطة الحاكم على الرعيّة،و تنظيم علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول، وتنظيم شؤون غير المسلمين فيها....
6- **الأحكام القضائية:** وهي التي تُعنى بالقضاء، والدعاوي، والبينات، ونحوها.

الخلاصة: أن القرآن الكريم هو دستور الأمة الإسلامية والمصدر الأول للتشريع فيها، يبحث في كل الأمور، ويجمع شتات كل الأحكام، ويوفق بين كل الحقوق والواجبات، ولا يترك شاردة ولا واردة من أمور الدين أو الدنيا إلا وينظمها بنصوص أو بإشارات أو بتوجيه للأساس أو المصدر الذي يجب الاعتماد

عليه فيها، وذلك مصداقا لقوله تعالى:﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِينا**﴾ المائدة:3،

السنة المطهـــرة

تعريفها:

لغـــة: السنة الشريفة في اللغة هي المنهج والطريقة المتبعة سواء حسنة أم شيئه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: **« من سن سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»** رواه ابن ماجة.

اصطلاحا:هي ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم - من غير القرآن الكريم- من قول أو فعل أو تقرير.

حجية السنة الشريفة :

السنة الشريفة دليل أصلي من أدلة التشريع الإسلامي، وقد ثبتت حجيتها بالقرآن والسنة والإجماع والعقل.

1- من الكتاب: هناك آيات كثيرة تدل على أن الله فرض علينا اتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يقوله ويفعله ويقره من الأعمال والتصرفات، من ذلك قوله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**﴾ النساء:59، وقوله تعالى:﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾النساء:80، وقوله:﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**﴾ الأحزاب:36 وقوله تعالى:﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ النساء:65 ففي هذه الآيات الكريمات أمر صريح وبيان واضح بأن طاعة الله وطاعة الرسول شيء واحد لا تقبل إحداهما إلا بالأخرى، وما طاعة الله إلا إتباع كتابه، وما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا إتباع سنته، ولذلك كانت السنة الشريفة واجبة الإتباع.

2- من السنة: جاءت أحاديث كثيرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يشير فيها بصراحة إلى أن طاعته واجبة، وأن أمره إنما هو من الله سبحانه وتعالى، منها قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع:**« تركت فيكم أمرين ما إن اعتصمتم بهما فلن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة نبيه»** رواه مسلم، و قوله أيضا:**« يوشك أحدكم أن يقول: هذا كتاب الله ما كان فيه من حلال أحللناه، وما كان فيه من حرام حرمناه، ألا من بلغه عني حديث كذب به فقد كذب الله ورسوله والذي حدثه»** أخرجه ابن ماجه وأحمد فإن هذا الحديث الشريف نص في الباب.

3 الإجمـــاع: اجمع السلف والخلف على حجية السنة ووجوب العمل بها وأنها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن.

4- المعقول: يتجلى في عدة أمور أهمها أن الكثير من الأحكام التي وردت في القرآن الكريم جاء ت غير واضحة (مجملة أو عامة أو مطلقة...) وهذا يعني أنها تحتاج إلى بيان وتوضيح وتفسير لأن المعنى المراد منها لا يفهم إلا بذلك، والسنَّة هي التي تولت هذه المهمة - **مهمة البيان** - بأمر الله قال تعالى:﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل:44، وبما أن السنة الشريفة محتاجا إليها لفهم القرآن، والله أمرنا بإتباع القرآن وتأكدنا من حجيته فيما مضى،اذن السنة حجة يجب العمل بها لأن ما كان محتاجاً إليه لفهم الكتاب الذي هو مصدر الأمر والنهي الواجب الإتباع فهو واجب، اطلاقا من أن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

أنواع السنة الشريفة:

تنقسم السنة إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة:

آ- أقسام السنة باعتبار المتن:

من تعريف السنة السابق ندرك أنها أقسام ثلاثة، هي:السنة القولية ،السنة الفعلية ، والسنة التقريرية.

1- السنة القولية: هي كل ما نقل لنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله الشريفة، وهي كثيرة لا تدخل تحت الحصر، ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يرافقون رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلواته وجلواته، وكانوا يعنون عناية فائقة في حفظ كلامه واستذكاره وروايته، لعلمهم بأنه أصل من أصول هذه الشريعة، ومن أمثلتها قوله صلى الله عليه وسلم: **« بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان»** رواه البخاري ومسلم.

2- السنة الفعلية: هي كل ما رواه الصحابة من أفعاله صلى الله عليه وسلم وأعماله وعبادته وكل تصرفاته، مثل: كيفية وضوئه وصلاته وصومه وتهجده، ومعاملته لنسائه، وأقاربه وصحابته ...

3- السنة التقريرية: هي ما صدر عن صحابي أو أكثر من أقوال أو أفعال رآها النبي عليه الصلاة والسلام أو أعلم بها فسكت عنها ولم ينكرها، أو وافقها وأظهر استحسانه لها، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مشرِع لا يجوز أن يسكت على معصية، ولذلك يعتبر سكوته عن هذا الفعل أو القول إقرارا بمشروعيته، أي إنه بمثابة قوله وإذا كان كذلك كان سنة، ومن أمثلة هذا النوع ما روي من سؤاله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن قاضيا:**«بم تقضي يا معاذ؟ قال بكتاب الله، قال فإن لم تجد؟ قال: فبسنة رسول الله، قال فإن لم تجد؟ قال : أجتهد رأيي ولا آلو،فقال النبي صلى الله عليه وسلم عندها:الحمد لله الذي وفق رسول رسوله لما يرضي الله ورسوله»** رواه أحمد وأصحاب السنن

ب - أقسام السنة باعتبار السند:

تنقسم السنة باعتبار رواتها عن الرسول إلى قسمين: سنة متواترة، وسنة آحاد وزاد الحنفية قسما ثالثا هو السنة المشهورة.

1- السنة المتواترة: وهي ما رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع يمتنع عادة أن يتواطأ أفراده على الكذب، لكثرتهم وأمانتهم واختلاف وجهاتهم وبيئاتهم، ورواها عن هذا الجمع جمع مثله، حتى وصلت إلينا بسند كل طبقة من رواته، جمع لا يتفقون على كذب، من مبدأ التلقي عن الرسول إلى نهاية الوصول إلينا، ومن هذا القسم السنن العملية في أداء الصلاة وفي الصوم، الحج والآذان وغير ذلك من شعائر الإسلام التي تلقّاها المسلمون عن الرسول بالمشاهدة، أو السماع، جموع عن جموع، من غير اختلاف في عصر عن عصر، أو قطر عن قطر، وقل أن يوجد في السنن القولية حديث متواتر

ومن أمثلته قوله صلى الله عليه وسلم : **«لا وصية لوارث»**

2- السنة المشهورة: هي ما رواها عن رسول الله صحابي أو اثنان أو جمع لم يبلغ حد التواتر، ثم رواها عن هذا الراوي أو الرواة جمع من جموع التواتر، ورواها عن هذا الجمع جمع مثله، وعن هذا الجمع جمع مثله، حتى وصلت إلينا، مثل حديث: **«إنما الأعمال بالنيات»**، وحديث: **«بني الإسلام على خميس»** وحديث: **«لا ضرر ولا ضرار».**

وهذا هو مذهب الحنفية، أما الجمهور فإنهم يدخلونها في حديث الآحاد.

3- سنة الآحاد: هي ما رواها عن الرسول آحاد لم تبلغ جموع التواتر كواحد أو اثنان أو جمع لم يبلغ حد التواتر، ورواها عن هذا الراوي مثله وهكذا حتى وصلت إلينا بسند طبقاته آحاد، ومن هذا القسم أكثر الأحاديث التي جمعت في كتب السنة وتسمى خبر الواحد أو السنة الأحادية:

مكانة - منزلة - السنة من القرآن:

تتجلى في الأمور التالية:

1 - أن تكون مفسرة وموضحة وشارحة لما جاء في القرآن: مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : **« صلوا كما رأيتموني أصل»**، فإن فيه بيانا لقوله تعالى: **﴿وأقيموا الصلاة﴾**

2- أن تكون مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم: فتكون بذلك دليلا ثانيا للحكم بعد القرآن الكريم، ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: **« لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»** فإنه تأكيدا لقوله تعالى: **﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** البقرة:188

كما جاءت آيات تفرض على المسلمين عبادات متعددة كما منها قوله تعالى:**﴿ إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾** النساء: 103 **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ**

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾البقرة: 183**﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾** آل عمران 97 **﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾** التوبة: 103.

وجاء تقرير هذه العبادات وتوكيدها في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:**« بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»** إلى أحاديث كثيرة تؤكد كلَّ عبادة منها.

3- أن تثبت أحكاماً وتشريعات لم ترد في القرآن الكريم أحياناً: ولم يتعرض له ولم ينص عليه، مثل قوله صلى الله عليه وسلم للمدعي:**«شاهداك أو يمينه»** ومنه قضاؤه صلى الله عليه وسلم **بالشاهد واليمين** .. فإنها نصوص نبوية مثبتة لأحكام سكت عنها القرآن الكريم ومن أمثلة ذلك أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذهب والحرير حيث أخذ الذهب بيمينه والحرير بشماله وقال: **«إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثها».**

ففي مثل هذا النوع يجب على المسلمين أن يأخذوا بما شرعه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»** وقوله تعالى: **﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾** الحشر: 7، فوجب الأخذ بما شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم.